التنظير ودوره في إغناء الفكر الجغرافي

م.م. صفاء جودة بادي كاظم

safajawda@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم الجغرافية، بغداد، العراق

الملخص

التنظير من الموضوعات التي كانت تثار حوله المناقشات وتختلف فيه آراء الجغرافيين ووجهات نظرهم في اعتماد التنظير في بحوثهم تبعا لاختلاف طبيعة توجهاتهم، ومن اجل الإلمام بموضوع البحث ينبغي ادراك وفهم فلسفة ومضمون التنظير من جانب وتوضيح مدى تأثيره في مسار البحث الجغرافي من جانب أخر، ونظرا لمختلف المشكلات التي واجهت الإنسان خلال مراحل حياته، فضلا عن الاهتمام المتزايد بالمنهج العلمي لاسيما إن اغلب الجغرافيين كان لديهم توجهات لتضييق الفجوة العلمية بين علم الجغرافية والعلوم الأخرى وغيرها من الأسباب استوجب ذلك إمكانية وجود أساس علمي ومنطقي يستند عليه علم الجغرافية لحل تلك المشكلات، ومع ظهور الجغرافية الحديثة التي يدعمها كل من العالمين الألمانيين (كارل ريتر والكسندر فون همبولدت) فقد اصبحت الجغرافية علم له قواعد وأساليب بحث يقوم عليها، تم تغير الاتجاه العام في الجغرافية حيث انتقلت الجغرافية من ميدان المعرفة إلى ميدان العلم، وفي القرنين التاسع عشر والعشرين حصل تطور كبير في حقل الجغرافية، وظهرت بوادر واتجاهات حديثة تشجع التنظير الجغرافي لاسيما بعد ظهور المدارس الجغرافية الحديثة وتغير مسار وجوهر البحث العلمي الذي طاوع فلسفة الفكر الجغرافي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: التنظير، الفكر الجغرافي

Theorizing and its role in enriching geographical thought

A. L. Safaa Joda Badi

Al-Mustansiriya University. College of Education. Department of Geography

Abstract

theorizing is one of the topics that were discussed and the opinions and points of view of geographers differed in adopting theorizing in their research according to the different nature of their orientations. In order to master the research topic, it is necessary to realize and understand the philosophy and content of theorizing on the one hand and clarify the extent of its impact on the course of geographical research on the other hand. Given the various problems that faced human during the stages of his life, in addition to the increasing interest in the scientific method, especially since most geographers had tendencies to narrow the scientific gap between geography and other sciences and other reasons, this necessitated the possibility of having a scientific and logical basis on which geography is based to solve these problems. With the emergence of modern geography supported by the two German scientists (Karl Ritter and Alexander von Humboldt) Geography has become a science that has rules and research methods on which it is based, The general trend in geography changed as geography transferred from the field of knowledge to the field of science. In the nineteenth and twentieth centuries, there was a great development in the field of geography, and modern efforts and trends appeared that encourage geographical theorizing, especially after the emergence of modern geographical schools and the change in the course and essence of scientific research that conformed to the philosophy of contemporary geographical thought. Theorizing is one of the topics that were raised around it and the opinions and viewpoints of geographers differed according to the different nature of their paradoxes. The research aims to realize and understand the philosophy and content of theorizing in enriching functional thought on the one hand and clarify the extent of its impact in changing the course and essence of scientific research that obeyed the philosophy of contemporary

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

economic thought, and to know the opinion of the two races in using theorizing in their research on the other hand, and in view of the interest in the scientific method, most of them were to narrow the differences, there are scientific and logical foundations on which geographical science is based.
Keywords: Theorizing, Geographical though

مشكلة البحث:

ما المقصود بالتنظير الجغرافي وهل له دور في اغناء الفكر الجغرافي وما مدى تأثيره في مسار البحث العلمي الجغرافي وما اهم الآراء الجغرافية حول مفهوم التنظير؟

فريضة البحث:

للتنظير الجغرافي دور في اغناء الفكر الجغرافي وله الدور الفاعل في تحديد مسار البحث العلمي الجغرافي واستخدم في مجالات عديدة وفي كافة الاختصاصات وقد تباينت الآراء الجغرافية حول مفهوم التنظير.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى فهم وأدراك مضمون وفلسفة التنظير ودوره في اغناء الفكر الجغرافي ومدى تأثيره في تحديد مسار البحث العلمي ومعرفة مجالات استخدامه في علم الجغرافية، والكشف عن المحاولات التنظيرية التي قام بها الجغرافيون تبعا لخبراتهم العلمية.

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي في تنظيم محاور البحث.

المحور الأول: ماهية التنظير الجغرافي ومفهومه

ان التنظير من القضايا التي يتكرر مناقشتها في الفكر الجغرافي ولاسيما في الوقت الحالي وللجغرافيين وجهات نظر متباينة فيها ويعد التنظير ركن اساسي من اركان العلم وقواعده، واذا خلا العلم من التنظير اصبح مجرد حقائق متناثرة وغير مترابطة، فالتنظير يتطلب تنسيق الحقائق والبيانات وربطها منطقيا بهدف التوصل الى تصورات او استنتاجات عامة، ويطلق التنظير الجغرافي على عملية بناء النظريات وصياغتها، والتنظير مظهر من مظاهر النشاط العقلي هدفه ايجاد تفسير معقول للظاهرة المطلوب دراستها، فالإنسان حينما يلاحظ ظاهرة من الظواهر فأن العقل يقوم بعمل التصورات العقلية او التخيلات الحدسية للاستعانة بها في تفسير ملاحظاته، وقد استخدم التنظير في حضارات الشرق القديم في كل من الحضارة العراقية والحضارة المصرية فقد تمت صياغة تصورات تفسر نشأة الكون وتصف شكل الارض وأبعادها، ولكن اختلطت بالأساطير والخرافات، وقد اعتمد اليونان على الكثير من الافكار والتصورات الشرقية واخضعوها للبرهان العقلي والمنطقي ونجحوا في بناء تصورات علمية وصياغة نظريات منطقية تفسر الكون وشكله وقد اخذ العرب الكثير من النظريات اليونانية وعدلوا بعضها وانتقلت هذه النظريات الى الغرب الذي اعتمد عليها في نهضته العلمية في العصر الحديث (الفرا، 1990، الصفحات 1-4).

ومعنى التنظير في اللغة هو التأمل الذي يتبعه وضع تصور عقلي خاضع لإحساس الباحث لحدوث اي ظاهرة ثم اعطاء أكثر من تفسير لحدوثها، اما معنى التنظير اصطلاحا وضع عدد من الافكار من اجل صياغة النظريات.

يعرف العلم بانه المعرفة المجمعة بوسائل المنهج العلمي والذي يتمثل بالاستقراء والاستنباط للقيام بالبحث والفحص والتحليل للظواهر المحيطة بهذا الكون من اجل تعميق النظريات وتطويرها ولكي يقوم العلم بوظيفته توجب البحث عن النظرية التي تعين في فهم الواقع وتؤشر ملامح المستقبل، فالنظرية تعد محور العلم وعموده الفقري، ومما تقدم نستنتج ان النظرية نظام علمي يجمع بين الظواهر ومسبباتها بأسلوب منطقي يتسم بالشمولية والعمومية، ويهدف التنظيرالى بناء النظريات وصياغتها التي تحتاج الى برهان لأثبات صحتها بهدف ايجاد تفسير علمي مقبول للظاهرة المراد دراستها والفرضيات التي يقوم الباحث بصياغتها اما تكون فرضيات استنباطية او فرضيات استقرائية (السماك، 2012، صفحة 20).

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

كما تمثل النظرية الجغرافية نتاج علمي وفكري منظم يستند إلى مجموعة من الحقائق العلمية تم التوصل إليها من خلال المرور بسلسلة من العلاقات المترابطة تبدأ بالوصف والتفسير والتحليل وصولا إلى استنتاج القوانين ووضعها كنظريات.

كما تساعد النظريات في ربط الجغرافية مع تخصصات أخرى مثل الاقتصاد، وعلم الاجتماع، والبيئة، مما يعزز الفهم الشامل للظواهر وتعزز النظريات من الوعي بالمكان وأهمية الجغرافية في حياتنا اليومية، مما يمكن الأفراد من اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن القضايا البيئية والمكانية من خلال استخدام النظريات،

وتعد الملاحظة العلمية هي اول خطوة من خطوات البحث الجغرافي وتدخل في كل مراحل العمل وتقوم الملاحظة بالكشف عن بعض الحقائق المحيطة بالظاهرة المدروسة وفحصها فحصا دقيقا ولا يقتصر القياس فقط على صحة الملاحظة ودقتها وانما على امكانيات الملاحظ وعلى مدى تناسب عملية المقارنة العلمية للسمات الاساسية للشيء المقارن او المكان المدروس للتمكن فيما بعد من التصنيف والتفسير والتعميم وبقدر ما تتعدد الملاحظات بقدر ما تصبح على درجة عالية من الدقة وبقدر ما يتقدم التفسير في حالة وجود بعض العناصر ذات الخصائص المميزة للظاهرة وذلك يمهد الى صياغة فرضية تفسيرية ثم وضع نظرية وبذلك فان الملاحظة الدقيقة تقود الى اثبات الحقائق او نفيها فنظرية ديفز للدورة الحتية للأنهار التي صاغها عام 1899 اكدت الملاحظات فيما بعد ان قوانين الحث العادي تختلف عما تصوره ديفز . (الفرا، 1990، صفحة 5).

ان البحث العلمي يعتمد على منهجين المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي ويعنى المنهج الاستقرائي باستخلاص النتائج من خلال كتابات الجغرافيين اذ يقوم الجغرافي على تجميع اكبر قدر ممكن من الدراسات الوصفية لموضوع محدد ثم يقوم بفحص العناصر المشابهة المستخرجة ومقارنة النتائج والبحث عن التعميمات الممكن استخلاصها بغية الوصول الى صيغة يمكن الركون اليها حيث النتيجة النهائية للنظرية (موسى، 2006، الصفحات 55-57).

اما المنهج الثاني للبحث العلمي الاستنباطي فهو المنهج الاستنتاجي الذي يعتمد على المذهب العقلي القائل بان العقل مصدر المعرفة وليس الحواس فالباحث الذي يسلك هذا المنهج ينبغي ان تكون لديه قدرة على التوقع الحدسي وبطبيعة الحقيقة التي يريد معرفتها ويمكن تسميته بالتصور الذهني او التخمين العقلي الذي يبين كيفية تركيب عناصر الحقيقة ومن ثم الوصول الى تعميمات ممكنة بغية الوصول الى معرفة حيث النتيجة النهائية للنظرية (موسى، 2006، صفحة 50) اذا كان المنهج الاستنباطي يبدا بصيغة الفرضية اذ يبدا بالكليات قبل الجزئيات فان منهج الاستقراء على العكس منه اذ يبدا بالجزئيات قبل الكليات، اذ يبدا بملاحظة الظاهرة محل الدراسة ملاحظة علمية مع الاخذ بعين الاعتبار خصائصها ومكوناتها فضلا عن تحليل العلاقات القائمة بينها وبين غيرها من الظواهر الأخرى، ثم يبني تصورات وفرضيات عامة يستخدمها في التفسير ويطلق على هذا النوع من الفرضيات بالفرضيات الاستقرائية، فالنظرية اذا بنيت فانها تستند على اسس علمية خاضعة لسلسلة منطقية من المعطيات التي تخضع للتحليل والتفسير والمقارنة للظاهرة الجغرافية محل الدراسة في اطارها المكاني، والنظرية التي يمكن ان يركن اليها تلزم الباحث الجغرافي بوضع وبناء فرضيات تخضع للقياس ومهما اختلفت الفرضيات فانها يجب ان تحقق نتائج وأهداف واغراض البحث وإذ تم التأكد من صدق الفرضية وثباتها اصبحت تعميم يقود إلى وضع القوانين، ويختلف وضع القوانين في العلوم الطبيعية عنه في العلوم البشرية.

ان جميع العلوم والمعارف تحتاج الى وصف وتحليل بياناتها عن الظاهرة محل الدراسة قبل ان تصاغ على شكل فرضية او نظرية وبما ان الوصف بمثابة تمهيد لوضع فرضية فالجغرافي يصف ويحلل الحقائق عن الظواهر وعلاقتها ببعضها البعض وبمجرد التفكير في ايجاد العلاقة فان ذلك يعني وضع نظرية وهذا العمل عند بعض الجغرافيين يسمى بالجغرافية الوصفية (الفرا، 1990، صفحة 8).

ويعد الوصف والملاحظة من مرتكزات البحث الجغرافي اذ يمثل تمهيد لعمل نموذج او نظرية ولا يمكن للجغرافيين التخلي عنه واذا كانت الجغرافية علم ملاحظة فان الوصف بنوعيه الوصف الاستكشافي، والوصف التحقيقي يؤدي دورا فاعلا في البحث الجغرافي اذ يتيح الفرصة للتفكير، فالنوع الأول ضروري لأثارة المواضيع واكتشاف العلاقات المتبادلة بين الظواهر ويصبح التطور المنهجي اكثر وضوحا لآجل بناء مواد جغرافية ذات اساس متين يتيح إقامة نموذج او نظرية، اما النوع الثاني الوصف التحقيقي ودوره في نفي او إثبات النظريات

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

المفروضة، اذ يقوم بدور تقديم البراهين التي تمكن من نفي النظرية او اثباتها ويكون هذا النوع مرتكز على قاعدة وهدف واضحين اذ ما اريد ايجاد وحدة جوهرية في ظل الاختلافات الظاهرية (Luker mann، 1958، صفحة 9) .

ان النظريات والقوانين هي افكار مترابطة ومنظمة تكشف عن نظام الظاهرة المدروسة وخصائصها الاساسية ويعتمد عليها الجغرافي لكونها تحدد الاطار العام لمسلك اغلب الظواهر وتفسير العلاقات المتباينة بينها من اجل فهمها وتحليلها، وعند صياغة النظريات هنالك امران اساسيان لابد من الجغرافي الاخذ بهما وهما ان الجغرافية ليس ذلك العلم القائم على التجارب فالجغرافي عند عمل النماذج او صياغة النظرية او تطبيق قانون عليه ان يعتمد على مشاهدة ظواهر عدة تثبت صحة عمله، وهنا يعجز الجغرافي عن اختبار كل الحالات المتشابهة في العالم ،وبهذا لا يستطيع ان يضع قانون ينطبق على جميع الظواهر الا في حال اجراء تعديلات تقتضيها ظروف المكان الذي يطبق فيه القانون، وتصاغ فيه النظرية فيقوم الجغرافي باختبار تجربته في المعمل لاختبار صلاحية القانون وقد يصل الى النتائج نفسها في كل اختبار، وذلك كونه يتحكم في الظروف جميعها في داخل المعمل او لوجود تأثير متبادل بين خصائص الظواهر من جانب، ومن جانب اخر ان الطبيعة والسلوك الانساني لا تحكمها القوانين وينطبق هذا على الكثير من الظواهر الجغرافية سواء كانت الطبيعية ام البشرية ((موسى، 2006، الصفحات 53-54) واحيانا يعتمد الباحث على حدسه فيما يطرحه من افكار وهذا يعتمد على طريقته في النقد والتحليل وامكانياته في التركيب والمقارنة (ربيع و بن غضبان، 2024، صفحة 257).

ان التفسير العلمي للظواهر الجغرافية يتأثر بفكرة الحتمية المرتبطة بالعلوم الطبيعية وحتمية الروابط بين الظواهر تفرضها طبيعة الاشياء المرتبطة بفكرة السببية، كما ان الظواهر الجغرافية الطبيعية والبشرية لا تقبل فكرة الحتمية السببية المطلقة لوجود ثمة علاقات تتكيف بظروف البيئة المحيطة وربما جاوز الامر ذلك الى علاقات توافقية بين الواقع الطبيعي والواقع البشري على سبيل المثال ثمة توافق بين معدلات الحرارة والرطوبة ومعدلات الوفيات بين الاطفال (الصالح و السرياني، 2014، صفحة 24).

المحور الثاني: التطور الفلسفي لمفهوم التنظير الجغرافي وعلاقته بتطور النظريات الجغرافية

يوفر التنظير إطارًا تنظيميًا للباحثين في الجغرافيا، مما يساعدهم في تطوير فرضياتهم وتوجيه دراساتهم وفهم التغيرات الزمنية والمكانية إذ تساهم النظريات في فهم كيفية تغير الظواهر الجغرافية بمرور الوقت وكيفية تفاعلها في المكان وتقديم حلول للمشكلات ويمكن للنظريات أن تدعم تطوير استراتيجيات وحلول للتحديات الجغرافية المعاصرة مثل التغير المناخي، وإدارة الموارد.

تمثل النظرية في علم الجغرافية اعلى درجة التجريد المعرفي فهي عبارة عن مفاهيم وتعميمات تجمع بطريقة متسلسلة للوصول الى تعاميم حول علاقة الظاهرة المدروسة مع الظواهر الاخرى، وتكشف النظرية عن النظام الذي تسير بموجبه الظواهر سواء كانت اقتصادية او سياسية مثل نظرية مالتوس السكانية ونظرية الكتلة الاقتصادية وغيرها من النظريات (زكريا، 1978، صفحة 20).

إن البحث عن النظرية الجغرافية ليس ظاهرة حديثة وانما هي قديمة وتعود إلى أيام الإغريق واليونان وهناك من يعيدها إلى الهنود، ففي هذه الحقبة الزمنية كانت مشكلة الإنسان تتركز حول كيفية تحديد مكانه، والتعرف على خصائص المنطقة المحيطة بهذا المكان، وقد قضى قرونا طويلة في محاولة كشف كنه الأرض وابعادها وكل ما يدور حولها من بحار والمحيطات المجهولة (عايش، 1978، صفحة 33) .

تمكن الجغرافيون من تطوير وفهم العالم الذي نعيش فيه، ويسعون لتحسين نوعية الحياة من خلال تقديم حلول مستندة إلى المعرفة الجغرافية، وهناك العديد من المنظرين الجغرافيين الذين أثروا في تطوير نظريات ومفاهيم الجغرافية عبر التاريخ فالخلفيات النظرية لتحديد خصائص المكان كانت المحور الاساسي لجوهر العمل الجغرافي ومن هؤلاء المنظرين (ايراتوسثينس) يُعد مؤسس الجغرافية الرياضية، والذي قام بحساب محيط الأرض بدقة نسبية في القرن الثالث قبل الميلاد (خير، 2002، صفحة 37) قد عرض نظرية واضحة ومتكاملة بين فيها قياس محيط الأرض معتمدا على قباس الفرق في ميلان الشمس بين مدينتي اسوان والإسكندرية وبالرغم من بساطة ادواته إلا انه استطاع من خلال ذلك إن يقيس محيط الأرض بدقة تقترب من القياسات الحديثة، والمؤرخ الجغرافي اليوناني (استرابون) الذي قدم وصفًا جغرافيًا للعالم المعروف في عصره في كتابه "الجغرافيا" والعالم (كانت) في القرن الثامن عشر، اذ عد الجغرافيا جزءًا من العلم الذي يدرس

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

العلاقات بين البشر والبيئة، هؤلاء وغيرهم من الجغرافيين يمثلون بعض من الشخصيات البارزة في مجال الجغرافية، وكل منهم له تأثير مختلف في تطوير هذا العلم (شريف (شريف، 1969، صفحة 325).

منذ القرن السابع قبل الميلاد ظهرت نظرية مركزية الارض التي قادها (انكسمندر) وايده في ذلك(فيثاغورس) ونادى بها (بطليموس) فيما بعد إذ ساد الاعتقاد بان الارض هي مركز الكون الذي تدور حوله النجوم وتنتظم فيه العناصر الاربعة على شكل كرات تحيط بالارض كرة من الماء وكرة من الهواء وكرة من النار وقد ظلت هذه النظرية سائدة حتى بدايات القرن السادس عشر الى ان تمكن (كوبرنيكوس) عام 1543 من اثبات ان الارض هي التي تدور حول الشمس وايده في ذلك (جاليلو)، ويعد (اريستارخوس) اول من نادى بنظرية مركزية الشمس (العال، 2011، صفحة 69) الشكل (1).

شكل (1) نظرية مركزية الشمس للعالم كوبرنيكوس عام 1543

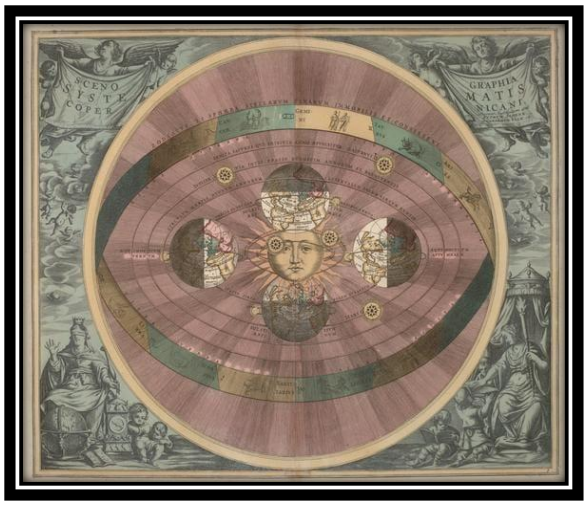

المصدر : https://www.raremaps.com/gallery/detail

لقد تطور التنظير الجغرافي عند العرب بحكم تأثرهم بالحضارات القديمة، اذ كانت تعد جزءا مهما من حياتهم اطلقوا عليها الجغرافية العلمية، وكانت المشكلة التي تواجه الجغرافيين العرب هي اكتشاف كنه العالم وإبعاده الارض المجهولة، وقد كانت الأبحاث الفلكية منصبه على الوصول الى هذا الهدف، ومن النظريات الجغرافية اللي ظهرت عند العرب تلك التي اطلق عليها نظرية (قبة الأرض) وقد استخدمت هذه النظرية كإساس في قياس خطوط الطول ودوائر العرض، وكانت تشير قبة الارض الى النقطة التي يتقاطع فيها خط الاستواء مع خط منتصف النهار والتي تقع على ابعاد متساوية من الغرب والشرق والشمال والجنوب وقد شكل هذا الهدف حلقه وصل هامة في استمرار النظرية الجغرافية التي انتقلت بعد انهيار الحضارة العربية الى اوربا التي تطورت فيها النظرية الجغرافية المتعلقة بشكل الارض، ومع مجيء غاليو الذي تحدى مفاهيم العصور المظلمة، واستطاع ان يقدم البراهين عن كروية الارض ودورانها حول الشمس وجاءت أراءه تؤكد الراي القائل بان الشمس هي مركز المجموعة الشمسية.

نتيجة للتركيز على اهداف الاكتشافات الجغرافية والابتعاد عن الاهداف العلمية فقد واجهت الجغرافية مأزقا علميا حادا اذ اخذت تواجه تراجعا ملموسا في اطرها ومفاهيمها ومحتوياتها على الرغم من ظهور بوادر مشجعة في اتجاه النظرية الجغرافية والمتمثلة باراء العالمين الالمانيين (كارل ريتر والكسندرفون همبولدت) الا ان الاتجاه النظري بقي بشكل عام ضعيفا (عايش ع.، 1978، صفحة 134).

شهد القرن السابع عشر ظهور فلسفة العلم بشكل نموذجي وان لم تشمل رقعة العالم باسره بنظره رأت فيه المعرفة المستمدة من الملاحظة التجريبية لحقائق الطبيعية من خلال معالجة البيانات المتنوعة بحيادية ودون تمييز وتحليل دون كلل وصياغة الفرضيات واختيارها امام الواقع صار معتقدا ان القوانين الحاكمة للطبيعة ستكشف في النهاية امام البحث والمعرفة كانت هذه الصعوبات الفلسفية في

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

تحقيق هذه الرؤية قد قادت بعض فلاسفة اوربا في ثلاثينيات القرن العشرين للسير نحو وضع مفاهيم محددة واكثر صرامة للرؤية التجريبية وتوليد حركة علمية عرفت باسم الوضعية المنطقية (ليفنجستون، 2020، صفحة 45).

اصبحت الجغرافية في القرن العشرين تدرس العلاقات الموضوعية بشقيها الواقع الطبيعي بكل ابعاده وضوابطه والواقع البشري فضلا عن توجيه البحث الجغرافي نحو اهداف موضوعية متعددة تخدم المجتمع، وبذلك نجحت الدراسة الجغرافية الموضوعية في استخلاص نتائج مفيدة ومرضية في الجانب الطبيعي والبشري، وهذا اللون من الوان المعرفة قد اكسب الفكر الجغرافي مرونة وعمق في تقصي الحقائق، وبذلك اثبتت الجغرافية الحديثة قدرتها على التحليل والتفسير وربط السبب بالنتيجة الاثر الذي هيئ للفكر الجغرافي الحديث صياغة البحث الجغرافي وتجسيد النتائج الدقيقة لاي ظاهرة معينة خاضعة لزمان ومكان معينين (الشامي، 1999، صفحة 256).

وفي العصر الحديث اخذت الجغرافية تخضع لفلسفة العلم السائد واصبحت في خدمة المجتمع ودخلت في مفاصل وميادين عدة ولم تعد مجرد علم المكان بل اعادة تنظيم المكان ومن خلال ذلك يحاول الجغرافي ان يكشف عن القوانين والنظريات التي تحكم وتسهم في احياء وتطور المكان (خير، 2002، صفحة 37).

المحور الثالث: بعض النظريات التطبيقية في علم الجغرافية

استخدمت الجغرافية مجموعة متنوعة من النظريات التطبيقية في مجالات متعددة منها اهتمت بدراسة الظواهر الطبيعية مثل المناخ، التضاريس، والتربة، مثل نظرية الصفائح التكتونية وأنظمة الأنهار، واخرى في الجغرافية البشرية وتركز اهتمامها على الأنشطة البشرية وتأثيرها في المكان كأنماط التنمية الحضرية وتوزيع السكان والموارد.

فكل حقل وضع نظريات تختص بالموضوعات التي لها ارتباط مباشر بالمشكلات التي يعاني منها المجتمع، فجغرافية المدن تناولت الكثير من النظريات التي تفسير استعمالات الارض في المدينة وتفسر النمو الحضري والتغير الوظيفي داخل المدن منها نظرية الدوائر المتراكزة او نظرية النمو التي نادى بها الباحث الاجتماعي الامريكي (ارنست برجس) عام 1925 ومضمونها ان المدن تنمو بشكل حلقات او دوائر متداخلة وذات مركز واحد، ونظرية القطاعات التي طرح فكرتها (هومرهويت) عام 1939 والتي ركزت على حقيقتين هما سعر الارض، وقيمة الايجار وطبقت هذه النظرية على عدد من المدن الامريكية وقد توصل الى تعميمات مفيدة عن المدن السكنية. (ربيع، جغرافية المدن، 2010، الصفحات 57-63) الشكل (2) و(3).

الشكل(2) نموذج نظرية الدوائر المتراكزة

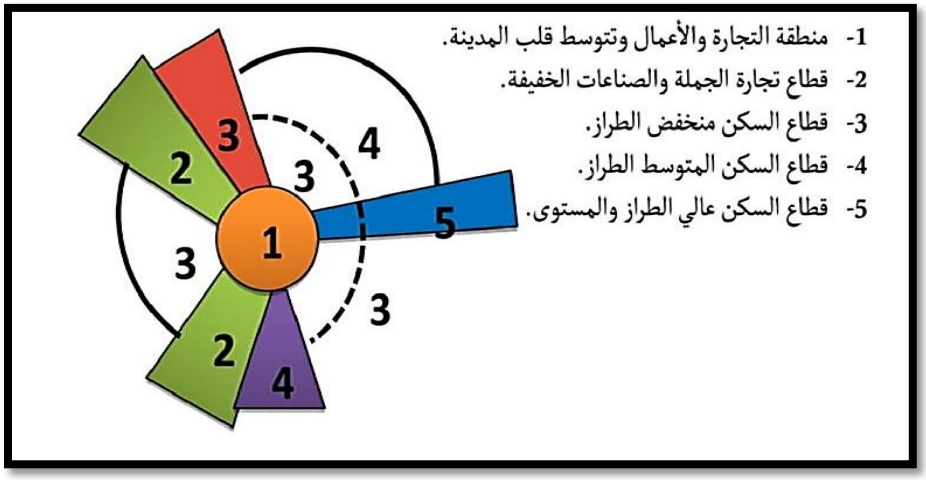

المصدر: كامل المرياتي، النمو الحضري وأثره في البناء الايكولوجي لمدينة بغداد، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، 1992.

الشكل (3) نموذج نظرية القطاعات

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

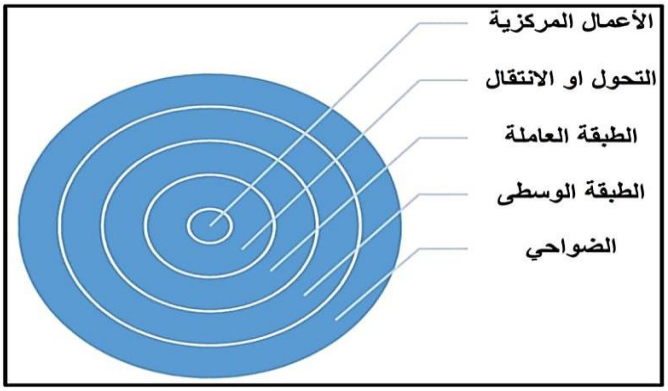

المصدر: كامل المرایاتي، النمو الحضري وأثره في البناء الايكولوجي لمدينة بغداد، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق، 1992.

أما الجغرافية الاقتصادية فقد تركز اهتمامها على توزيع الأنشطة الاقتصادية والاستغلال الامثل للموارد، فقد تناولت الجغرافية الصناعية العديد من النظريات الاقتصادية مثل نظرية الميزة التنافسية ونظرية الوزن الفاقد وكلفة النقل التي نادى بها عالم الاقتصاد الالماني (ادغار هوفر) وله عدة مؤلفات في هذا الصدد، ونظرية (الفريد فيبر) بعنوان نموذج الموقع الصناعي 1909 في المانيا والتي شرح فيها تحديد الموقع المميز للصناعة وحاول دراسة العوامل المؤثرة في اختيار الموقع الصناعي مؤكدا على ضرورة اقامة المنشأة الصناعية عند النقطة التي تكون الكلفة عند حدها الادنى الشكل (4) و(5).

الشكل (4) المثلث الموقعي لالفريد فيبر

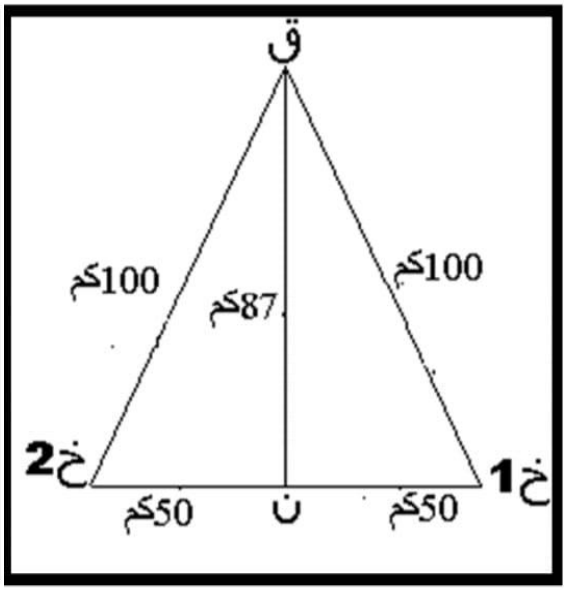

الشكل(5) خط التساوي الحرج

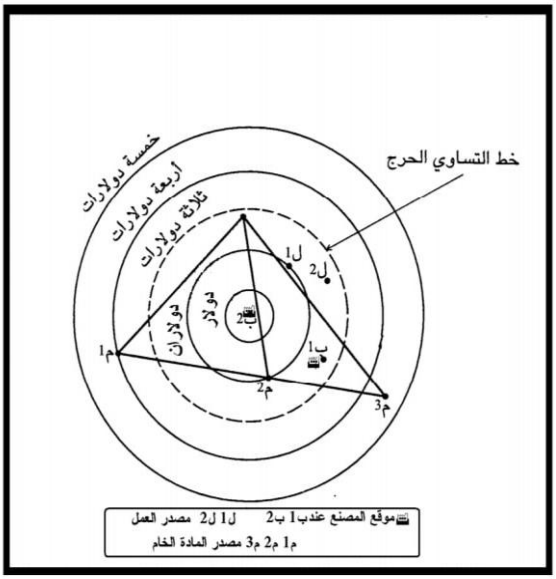

المصدر: محمد رياض، جغرافية النقل، بيروت، دار النهضة العربية،1974، ص117.

إما نظريات الجغرافية البيئية مثل نظرية الاستدامة ونظرية الأنظمة البيئية التي تتعامل مع العلاقات بين الانسان والبيئة وتأثير الأنشطة البشرية على النظم البيئية ، مثل التغير المناخي والتلوث، كذلك الجغرافية السياسية تبحث في تأثير الجغرافية على السياسة والعلاقات الدولية مثل نظرية الاطار الارضي لسبيكمان ونظرية القوة الجوية لسفرسكي 1949 وغيرها من النظريات الجغرافية، الشكل (6).

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

الشكل (6) نظرية القوة الجوية لسفرسكي 1949

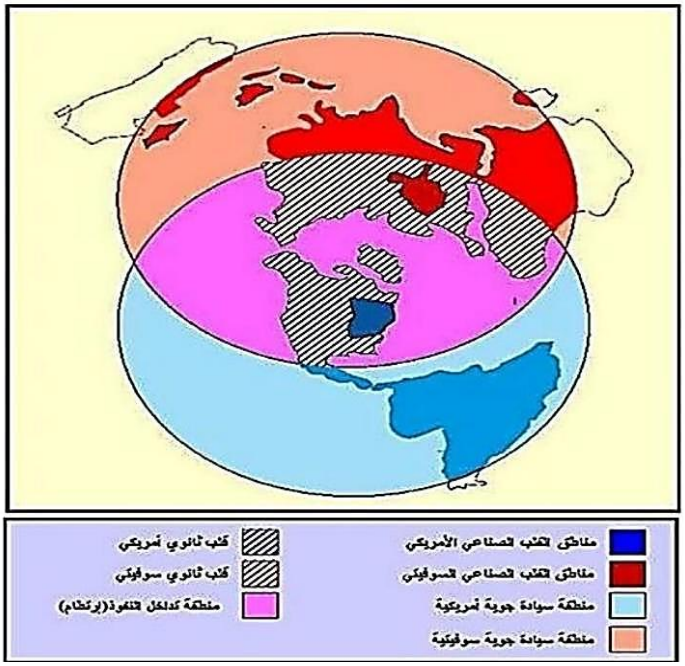

المصدر: صباح محمود محمد، واخرون، الجغرافية السياسية، مطبعة جامعة البصرة، العراق،156،1995.

وكذلك جغرافية السكان فقد ساعدت في تحليل الهجرات، ونمو السكان، والتغيرات الديموغرافية ووضعت عدة معايير لتصنيف السكان بين ما هو حضري وما هو ريفي لتسهيل مهمة المقارنة ووضع التوقعات المستقبلية (الشمري، 2024، صفحة 300).

وساهمت التكنولوجيا بتطور التنظير الجغرافي فعلاقة التكنولوجيا بتطور التنظير والنظريات هي علاقة وثيقة ومتبادلة، كونها تؤثر على كيفية تطوير وتنفيذ النظريات، بينما تطور النظريات يمكن أن يؤثر على تصميم وتطوير التكنولوجيا، اذ تقدم التكنولوجيا أدوات جديدة تجعل من الممكن اختبار الأفكار والنظريات بشكل أكثر فاعلية، مما يساهم في تطوير نماذج جديدة وفهم أعمق للظواهر المعقدة، كما تتيح التكنولوجيا الحديثة للباحثين الوصول إلى كميات هائلة من البيانات وتحليلها باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، مما يسهم في تطوير نظريات جديدة بناءًا على الأدلة ويعزز الفهم العلمي والشامل له، نستنتج من خلال البحث ان كل فروع علم الجغرافية وظفت التنظير بشكل اساليب تطبيقية اونظريات لغرض تحليل وفهم الظواهر الجغرافية بمختلف ابعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبذلك ساهم التنظير بكل اشكاله في اغناء الفكر الجغرافي ورفد المعرفة الجغرافية .

المحور الرابع: أراء الجغرافيين باستخدام التنظير في علم الجغرافية

ان الجغرافية لا تختلف في مهمتها عن غيرها من العلوم الأخرى كونها تعتمد على فهم وتفسير خصائص الظاهرة المدروسة وتركيبها ومعرفة العوامل التي تتحكم في سيرها وفهم القوانين والنظم التي تتحكم في سلوكها وهذا ما اكده شيفر (Schaeffer) حينما قال ان تصورنا للجغرافية علما يقتضي منا وضع القوانين التي تحكم التوزيع المكاني للظاهرات على سطح الأرض(الفرا، 1990، صفحة 16).

ان اتباع المنهج الوضعي يروا ان الجغرافية تستعين في بحوثها بالقوانين والنظريات لان هذا يرقى بها الى مستوى العلم ويضعها على قدم المساواة مع العلوم الأخرى التي اعتمدت على الكم وابتعدت عن الكيف ولكن نقطة الخلاف تكمن في اذ كانت الجغرافية علما يبحث عن القوانين كما هو الحال في العلوم الطبيعية مثل القوانين التي تم التوصل اليها بالبحث العلمي مثل قوانين الجاذبية في الفيزياء، او ان الجغرافيا مجرد علم يطبق القوانين فقط، وهناك عدة اراء تتعلق بموضوع الجغرافية الرأي الاول يؤكدون ان الجغرافية موضوع وصفي يركز

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

على وصف الظاهرة وصفا فريدا، ويبحث في خصائصها ومزاياها فهي بذلك لا تحتاج الى وضع تعميمات عند دراسة الشيء الفريد ووضع نظريات وقوانين لتفسيرها يحكم تفردها، والراي الاخر جاء معاكس للراي الاول فقد وصف علم الجغرافية بانها علم يبحث عن القوانين والنظريات ويجب التخلي عن دراسة الاشياء والظواهر الفريدة والسعي وراء البحث عن العلاقات المشتركة وتفسيرها والتركيز على العموميات التي تساعد في بناء الفرضيات والقوانين والنظريات، ومن اصحاب الرأي الاول الذي يصف الجغرافية بانها علم يركز على وصف الظواهر الغريبة وتفردها الجغرافي الامريكي (ريتشارد هارتشون) قد يبدو ان الجغرافية حصرت نفسها الى حد كبير في دراسة الشيء الفريد وهي كالتاريخ ظلت على هذا الحال حتى القرن الماضي، اما وجهة نظر كل من الجغرافي الالماني كانت وهتنر القائلة بان الجغرافية تختلف تماما عن كل العلوم وهي فريدة في منهجها لانها تدرس الظواهر والاقاليم الفريدة، وهي بذلك علم وصفي اكثر مما هي علم يبحث في القوانين كذلك (ولدرج و ايست) اللذان يعترفان بالتفرد وفي رايهم ان الاقليم فريد لكونه لا يتكرر، اما اصحاب الرأي الثاني بأن الجغرافية موضوعاتها ومنهجها تهتم بالبحث عن النظريات والقوانين وليست اقل من العلوم والاخرى وهذا ما اكده (شيفر) احد أقطاب المدرسة الوضعية" ان المتغيرات التي تنتج النمط الرئيسي في الجغرافية هي بالطبع مكانية، وقبلهم همبولت الذي دخل الجغرافية من باب العلوم الطبيعية وكذلك (ريتر) الذي دخل الجغرافية من باب مختلف وهو العلوم الانسانية الفكرة القائلة ان جميع العلوم الطبيعية و العلاقات المكانية محكومة بالقوانين ولمثل هذا النمط الجديد من العمل يجب الاتيان بادوات على شكل مفاهيم وقوانين، وعليه فان الجغرافي ينبغي النظر اليها على انها علم يهتم بصيغة القوانين التي تحكم التوزيع المكاني لمظاهر معينة على سطح الارض" (الفرا، 1990، الصفحات 17-19).

يرى بعض الجغرافيين ان هناك اختلاف واضح من حيث استخدام النظريات بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ويرى علماء اخرون صعوبة مقارنة العلوم الاجتماعية بنظيراتها الطبيعية فمن الظلم وضعها في مستوى واحد نظرا للاعتقاد السائد ان العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء تدرس اشياء غير حية وهذه تخضع للقوانين بينما العلوم الاجتماعية تدرس حالة الانسان وتكون عرضه للتغير المستمر لكن هناك من تصدى لما سبق ويرى ان العلوم الاجتماعية يمكن لها ان تحتل نفس المرتبة التي تحتلها العلوم الطبيعية يعود ذلك الى التقدم الذي احرزته في مجال استخدام الاساليب والمناهج وأصبحت تستخدم احدث المبتكرات التكنولوجية كالعقول الالكترونية والمختبرات العلمية، ولكن على الرغم من ذلك فان من الصعوبة ان تتساوى العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية فالقانون الطبيعي يقوم بالوصف والتفسير وهذا يحتاج الى تحليل وتعليل ومن الصعب أحيانا إن تقوم بتفسير وتحليل سلوك الإنسان لكونها خاضعة لإرادة الإنسان والتي تبقى خافية ويصعب إخضاعها للبحث العلمي والتحليل المختبري (الفرا، 1990، صفحة 31).

وبعض الجغرافيين يروا ان مبدا السببية مقبول في الموضوعات الطبيعية على خلاف الموضوعات البشرية فيتمثل مبدا السببية في الجانب الطبيعي مثل اختلاف انواع الصخور اذ يخلق وجود اشكال متنوعة من التضاريس بمختلف الارتفاعات مما يسبب وجود نماذج مناخية متباينة واشكال نباتية متميزة على غرار الظواهر البشرية فمبدا السببية فيها غير واضح او حتميا او مباشرا (موسى، 2006، صفحة 57).

نستنتج من هذا البحث ان علم الجغرافية استخدم التنظير في العديد من التطبيقات العملية وفي مختلف المجالات بالرغم من اختلاف وجهات نظر الجغرافيين، وهناك قوانين ونظريات جغرافية استطاع الجغرافي الاستفادة منها وتوظيفها في بحوثه الجغرافية، اذ اسهم التنظير الجغرافي في فهم الظواهر المرتبطة بالبيئة والمجتمع، منها تطبيقات في التخطيط الحضري ونظريات اخرى في تحليل توزيع السكان والموارد، مما ساعد في تصميم المدن والطرق بشكل فعال وكذلك في إدارة الموارد الطبيعية، كما اسهمت النظريات الجغرافية التي افرزها التنظير الى فهم توزيع الموارد مثل المياه، والمعادن والأنشطة الاقتصادية، مما ساعد في تطوير استراتيجيات تنموية محلية وإقليمية لبعض البلدان، كل هذه التطبيقات تُظهر أهمية التنظير الجغرافي في التعامل مع القضايا المعاصرة وتطوير استراتيجيات مستدامة لتهيئة الفرصة امام صانعي السياسات من اتخاذ قرارات مستنيرة وايجاد حلول فعّالة للمشكلات التي تواجه المجتمعات اليوم.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

الاستنتاجات:

1- إن التنظير بمفهومه العام قد خدم علم الجغرافية كونه مثل جانبا تطبيقيا مهم في اغلب فروع الجغرافية الطبيعية والبشرية، وهذا ما نلمسهُ من خلال الاتجاهات الحديثة التي استوعبتها الجغرافية وسلكها البحث الجغرافي، فلم يعد علم الجغرافية ذلك العلم الذي يعتمد على وصف الحقائق وصفا سطحيا، آذ تغيرت تلك النظرة الضيقة وأخذت تعتمد النظرية والبرهان.

2- تختلف المجالات المعرفية والعلوم فيما بينها ولكل علم له طريقة يختلف بها عما سواء في اشكال تحصيل المعرفة بالرغم من كون الاسلوب الشائع في اختيار النظريات هو الفرضية، كما يمكن استخدام التنظير الجغرافي بمساعدة التكنلوجيا الحديثة مثل انظمة المعلومات الجغرافية (GIS) لتحليل البيانات الجغرافية وتقديمها بطريقة بصرية، مما يساعد على اتخاذ قرارات قائمة على الأدلة.

3- يختلف استخدام التنظير والقوانين بين فروع الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية تبعا للسلوك الظاهرة المدروسة فالظاهرة البشرية تكون أكثر تعقيدا وتداخل في العوامل قياسا بالظاهرة الطبيعية التي تكون شبه مستقرة.

4- يساعد التنظير الجغرافيين والباحثين في فهم العلاقات المعقدة بين الظواهر الطبيعية والبشرية وتقديم حلول لمشكلات التنمية المستدامة والتخطيط الحضري والإقليمي ويتم ذلك من خلال التوصل الى الأفكار والمفاهيم التي تساعد في فهم الظواهر الجغرافية والعلاقات ما بين البيئة البشرية والطبيعية.

5- ان ظهور الجغرافية الحديثة التي يدعمها كل من العالمين الالمانيين (كارل ريتر والكسندر فون همبولدت) فقد تم تغير الاتجاه العام في الجغرافية حيث انتقلت الجغرافية من ميدان المعرفة إلى ميدان العلم، وفي القرنين التاسع عشر والعشرين حصل تطور كبير في حقل الجغرافية، وظهرت بوادر واتجاهات حديثة تشجع التنظير الجغرافي.

6- يعد التنظير الجغرافي أداة أساسية لفهم وتحليل الظواهر الجغرافية المختلفة وتفسير العلاقة بين الإنسان والبيئة وساعدت النظريات الجغرافية في تفسير وتنظيم المعلومات حول الظواهر الجغرافية في شتى حقول المعرفة وقد استخدام التنظير في البحوث الجغرافية المتعلقة موضوعاتها بالجانب الصحي لتحليل انتشار الأمراض والفيروسات، مما ساعد في تحديد مناطق الخطر وتوجيه الجهود الصحية.

التوصيات:

1- هيئ التنظير الأساس العلمي والمنطقي الذي يستند عليه علم الجغرافية لحل المشكلات واصبح البحث العلمي له دور فاعل في تحقيق التقدم والتطور الحضاري لأغلب الدول مما يتطلب الاهتمام بأساليبه ومناهجه وتوظيفها في المجالات المعرفية التي تساهم بايجاد الحلول التي يعاني منها المجتمع.

2- الاهتمام بالتنظير كونه يمثل الأداة الرئيسة لتطور وتقدم المجتمعات فضلا عن تصعيد دور الدراسات الفكرية والفلسفية وإيضاح اغلب المفاهيم والمصطلحات الجغرافية مثل مفهوم التنظير وغيره من المفاهيم لاسيما لطلاب الدراسات الأولية.

3- تقديم الدعم للباحثين الجغرافيين وفسح المجال أمامهم للإفصاح عن أفكارهم وتصوراتهم وترجمتها بشكلي عملي على ارض الواقع فضلا عن ايصال افكارهم الى اصحاب القرار.

4- الربط بين جانب التنظير والتكنولوجيا كونهما أدوات تجعل من الممكن اختبار الأفكار والنظريات بشكل أكثر فاعلية، مما يساهم في تطوير نماذج جديدة وفهم أعمق للظواهر المعقدة. كما تتيح التكنولوجيا الحديثة للباحثين الوصول إلى كميات هائلة من البيانات وتحليلها باستخدام التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

المراجع:

عبد العال. احمد محمد. (2011). الجغرافية على مر العصور. جزيرة الورد.

ليفنجستون. ديفيد. (2020). مسيرة الفكر الجغرافي محطات في تاريخ مشروع علمي محل نزاع. ترجمة عاطف معتمد وعزة ريان وكرم عباس: المركز القومي للترجمة.

شريف محمد شريف. (1969). تطور الفكر الجغرافي. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

خير. صفوح. (2002). الجغرافية موضوعها ومناهجها واهدافها. دمشق: دار الفكر.

الشامي. صلاح الدين. (1999). الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة. الاسكندرية: منشاة المعارف.

ابو عايش. عبد الاله. (1978). تطور النظرية الجغرافية. مجلة العلوم الاجتماعية.

موسى. علي حسن. (2006). الساليب الكمية في الجغرافية. دمشق : كلية الاداب والعلوم الانسانية.

زكريا. فؤاد. (1978). التفكير العلمي . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

السماك. محمد ازهر سعيد. (2012). مناهج البحث الجغرافي بمنظور معاصر بين المنهج العام ومناهج التخصصات الفرعية. الموصل: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

ربيع. محمد صالح. (2010). جغرافية المدن. بغداد.

ربيع. محمد صالح ، و فؤاد محمد الشريف بن غضبان. (2024). تصنيف الباحثين في اقسام الجغرافية في الجامعات العراقية. بغداد: مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية، المؤتمر العلمي السابع والعشرون للعلوم الانسانية والتربوية.

الفرا. محمد علي. (1990).ا لتنظير في الفكر الجغرافي الحديث، الجمعية الجغرافية. الكويت: الجمعية الجغرافية.

الصالح. ناصر عبد الله ، و محمد محمود السرياني. (2014). لجغرافي الكمية والاحصائية اسس وتطبيقات بالاساليب الحاسوبية . العبيكان.

الشمري. وديان راسم مسير. (2024). التحضر واثره في تغيير التركيب السكاني للمدن العراقية. بغداد: مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية، المؤتمر العلمي السابع والعشرون للعلوم الانسانية والتربوية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية للمدة 28-29 شباط 2024.

References:

Abd Al-Aal, A. M. (2011). *Geography through the ages*. Geziret El-Word.

Abu Aish, A. (1978). The development of geographical theory. *Journal of Social Sciences*.

Al-Farra, M. A. (1990). *Theorization in modern geographical thought*. Kuwait: The Geographical Society.

Al-Saleh, N. A., & Al-Siryani, M. M. (2014). *Quantitative and statistical geography: Foundations and applications using computational methods*. Al-Obeikan.

Al-Sammak, M. A. S. (2012). *Geographical research methodologies in contemporary perspectives: Between general methodology and sub-disciplinary methods*. Mosul: Dar Al-Yazouri Scientific Publishing and Distribution.

Al-Shami, S. D. (1999). *Geographical thought: Biography and journey*. Alexandria: Manshahat Al-Ma'arif.

Al-Shammari, W. R. M. (2024). Urbanization and its impact on changing the demographic structure of Iraqi cities. *Al-Mustansiriya Journal for Humanities, 27th Scientific Conference on Humanities and Educational Sciences*, College of Education, Al-Mustansiriya University, February 28-29, 2024.

Khair, S. (2002). *Geography: Its subject, methods, and objectives*. Damascus: Dar Al-Fikr.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867

Livingstone, D. (2020). *The journey of geographical thought: Milestones in the history of a scientific project under dispute* (A. Mo'atamed, A. Rayan, & K. Abbas, Trans.). Cairo: The National Center for Translation.

Lukermann, R. (1958). Toward a more lucid economic geography. *The Professional Geographer, 10*(4).

Mousa, A. H. (2006). *Quantitative methods in geography*. Damascus: Faculty of Arts and Humanities.

Rabi, M. S. (2010). *Geography of cities*. Baghdad.

Rabi, M. S., & Sharif, F. M. B. G. (2024). Classification of researchers in geography departments in Iraqi universities. *Al-Mustansiriya Journal for Humanities, 27th Scientific Conference on Humanities and Educational Sciences*.

Sharif, M. (1969). *The development of geographical thought*. Cairo: Anglo-Egyptian Library.

Zakaria, F. (1978). *Scientific thinking*. Kuwait: The National Council for Culture and the Arts.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.867